العواصف ملمّة ، ويدعون ما تحدثه من التغيير والتبديل « فوضى » . لأن من طبيعة البشر الاستمرار على عادة أو طقس أو شريعة . إذ ليس في الاستمرار من عناء يُذكر . فمن يجذّف مع الموج ليس كمن يجذّف ضده .

وأبغض شيء عند الناس هو تغيير عادة ألفوها . أو طقس تملّك من حياتهم فأصبح جزءاً منها . لذلك تراهم يغارون على عاداتهم وطقوسهم غيرة الأمّ على ابنها فيحوكون لها من القداسة أثواباً ، ويُحلّونها محل الملهمات ، كما لو كانت من وضع خالق السموات والأرض . فيدافعون عنها بكلّ قواهم ، ويقيمون عليها حرّاساً من الأوهام يرعبون بها كل من تسوّل له نفسه الخروج عليها والكفر بها .

لقد ورث أبناء العربيّة عن أسلافهم آثاراً أدبيّة في كثير منها جمال رائع . ففتنهم ذلك الجمال . وأعجبتهم القوالب التي صيغ فيها . فأمعنوا في درسها . وألِفوها حتى أصبحت عندهم كما لو أنها منزلة . وكيّفوا كلّ شعورهم وأفكارهم بها إلى أن لم يعد في وسعهم إبداء فكر أو إبراز عاطفة إلاّ بتلك القوالب . لا بل إنهم ألفوا أفكار أسلافهم وعواطفهم إلى درجة اندمجت معها أفكارهم وعواطفهم بأفكار أسلافهم وعواطفهم. وهناك استقرّوا قانعين بما أدركوه من البيان ، داعين ما بلغوه منه أدباً . فسيّجوا هذا الأدب بسياجات من القوانين والشرائع .